فانتقده لما تُحدثه الأبيات لدى متلقيها من تطيُّر ، ثم علل ذلك بما يحتويه مضمونُها من انقلاب الرَّبْع حتى أصبح عاليه سافله ، وختم هذا النقد الجيد بما يتصل بطبيعة المبدع من حيث تناقض القول مع الموقف النفسي الذي يعيشه الشاعر ، حتى قال ابن أبي عتيق :

لم يبقَ له إلا أن يسأل الله حِجارة من سِجِّيل . (١)

أما ابن أبي ربيعة فقد لاءم بين ما يقول وموقفه النفسي ، حيث كان أحسنَ صحبةً للربع ، وأجمل مخاطبة ، حيث يقول :

سائلا الرَّبْعَ باليلى وَقولا هِجْتَ شَوْقًا ليَ الغداة طَويلا
أيْنَ حَيٌّ حلّوكَ إذْ أنْتَ مَسْرو رٌ بهِم ، آهِلٌ ، أراكَ جَميلا
قال : ساروا ، فأمْعَنوا ، فاستُقَلّوا وبكرهي لَوِ استَطَعْتُ سَبيلا
سَئِمونا ، وما سَئِمْنا مقامًا وَاستَحَثّوا دَمائَةً وَسُهولا (٢)

وقد يعتمد النقدُ على إمكانات الشاعر في الفنون المختلِفَة ، ومدى إجادته فيها ، أو على إمكاناته في فن واحد منها ؛ فقد سأل سعيد بن المُسَيَّب نوفل ابن مساحِق وقال : « يا أبا سعيد ، مَنْ أشعرُ : أ صاحِبُنا أم صاحبُكم ؟ يريد عبيد الله بن قيس أم عمر بن أبي ربيعة . فقال نوفل :حين يقولان ماذا ، يا أبا محمد ؟ قال : حين يقول صاحبنا :

خَليلَيَّ ما بالُ المطايا كَأنَّما نَراها عَلى الأدْبارِ بالقَوْمِ تَنْكُصُ

ويقول صاحبك ما شئت . فقال له نوفل : صاحبكم أشعر في الغزل ،

(١) القالي : الأمالي ، ج ٢ ، ص١٧ . (٢) القالي : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٧ .